التفكير النقدى فى التعليم العالى : أربعة وثلاثون بحثا حول إعمال العقل والابداع واصلاح الفكر وتصحيح الذات / تحرير مارتن دافيس ، رونالد بارنيت ؛ ترجمة حسنى عبد الرحمن الشيمى ، عماد عبد العزيز جاب الله ، ياسمين حسنى . – ط ١ . القاهرة : المجموعة العربية للنشر والتوزيع . ٢٠٢١ .

عرض
د. رمضان موسى الصفتي
كبير أخصائي المكتبات المدرسية سابقًا
ramasaftyy@yahoo.com

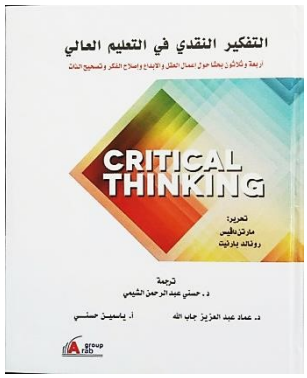

الملخص

هذا الكتاب ترجمة كاملة لكتاب : The Palgrave handbook of critical thinking in higher education، من تحرير مارتن دافيس ، ورونالد بارنيت، وترجمه د. حسني عبد الرحمن الشيمي ، د. عماد عبد العزيز جاب الله ، و ياسمين حسني. ولقد ساهم في تأليفه ٦٧ مؤلفاً يمثلون خمس قارات وعشرة بلدان وأكثر من ثمانين مؤسسة.

والكتاب يدور حول: ما هو التفكير النقدي وخاصة في سياق التعليم العالي؟ وكيف تطور البحث والدراسة في هذا الشأن خلال العقود الماضية؟ وما هو الوضع الحالي له؟ كيف يمكن تعزيز إمكاناته ؟ وما أنواع التعليم اللازمة لتحقيق هذه الإمكانات؟ ولماذا أهمية هذا الموضوع الآن؟ ، مع تقديم رؤية المساهمين حول المفاهيم المعاصرة للتعليم العالي في جميع أنحاء العالم.

وتأتي الترجمة في مقدمتين: مقدمة الترجمة ومقدمة النسخة الأصلية للكتاب ، وسبعة أبواب وأربعة وثلاثين فصلاً على النحو التالي : الباب الأول : ماذا يُعنى بالتفكير النقدي في التعليم العالي ، والباب الثاني : تعليم التفكير النقدي، الباب الثالث : دمج التفكير النقدي في المناهج، والباب الرابع : التفكير النقدي عبر الثقافات ، و الباب الخامس: التفكير النقدي وعلاقته بعلوم الإدراك المعرفي ، والباب السادس : التفكير النقدي في الممارسة المهنية ، الباب السابع: الآفاق الاجتماعية للتفكير النقدي.

مقدمة الترجمة / بقلم كبير مترجمي الكتاب د. حسني عبد الرحمن الشيمي

منذ ما يقرب من ربع قرن لفت انتباهي بزوغ الاهتمام بقضية التفكير النقدي ، كأحد مقومات المجتمعات العفية، واطمئنان نفسي لالتهام معظم ما توافر لدى من مصادر ذات علاقة بالموضوع ، بدأت أول أعمالي المنشورة فيه بعنوان " دور المعلوماتيين في تقييم وانتقاء المعلومات ومصادرها في الموجة

الحضارية الثالثة " عام ١٩٩٦، ثم كتاب " المعلومات والتفكير النقدي" عام ١٩٩٨، ثم إحاطتي علماً بعزم جامعة القاهرة على تعميم تدريس " التفكير النقدي" على طلابها ، واهتمامها بتوفير أعمال فكرية تأليفاً أو ترجمة في مقرره الدراسي، وبمراجعة أحدث الإنتاج الفكري في الموضوع ، فقد قررت اختيار ترجمة الكتاب الذي بين أيدينا ؛ لشموله من جانب ، ومعالجة التفكير النقدي في نطاق التعليم العالي من جانب آخر، وبخاصة أنه يمكن النظر إلى الكتاب الأول على أن معالجته أقرب إلى سياق تعليم التفكير النقدي في مراحل لما قبل التعليم الجامعي.

رؤيتنا للترجمة : منذ بدأت الدخول الحقيقي لمجال الترجمة ، قبل حوالى ثلاثين عاماً، وضعت نصب عيني أن أتعلم أولاً، وقدر لي أن تتسم الأعمال التي أسهمت بترجمتها أنها تمثل تحدياً فكرياً، وأن هذه التحديات أو الصعوبات هي التي مثلت لي (ولمشاركيَّ في الترجمة) في هذا الكتاب قدراً من المتعة لم أحس به من قبل، أثناء قراءتي المبدئية، وأثناء قراءتي المتمعنة، وأثناء مراجعة ترجمتي وترجمة مشاركيَّ، ولم يقتصر الأمر على مراجعة العمل، بل كنت أترجم نفسي أيضاً إذا صح التعبير ، فالكتاب يركز على المراجعة الفاحصة للذات، والانضباط الذاتي، والمصارحة (التخلية) الذاتية، وتجنب الانحياز، وهنا تولدت متعة جديدة نتيجة تأثري الذاتي بهذه التوصيفات بل والعمل على نقل تلك "العدوى" للآخرين.

التفاعل مع الترجمة ـــ الترجمة تعلماً

لي موقف شخصي من الترجمة يتمثل في اقتناعي بأنها أفضل أسلوب لدراسة موضوع ما، لا عبودية للنص كما يرى البعض، ولا علواً عليه كما يدعي آخرون، فأنا أراها عملية تفاعل مع النص، خاصة أن معظم ما مررت به من تجارب في الترجمة كان لأعمال تأصيلية في موضوعاتها، ولقد زادني هذا معايشة للعمل ـــ مرة أخرى ـــ كمتعة.

إرهاصات الاهتمام بالتفكير النقدي

إن قيمة التفكير النقدي الذي ناديت بالعناية به منذ ربع قرن، قد يجليها بوضوح الإرهاصات الغربية منذ حقبة السبعينيات، فقد كان التفكير النقدي أحد الأهداف التي عبر عنها بوضوح تقرير أمريكا ٢٠٠٠، وهو بيان عن السياسة التعليمية حظى بتأييد بوش الرئيس الأمريكي آنذاك، كما ضمنه أوباما كأحد ستة أهداف رئيسة للتعليم في خطابه عن حالة الأمة عام ٢٠١٤.إلا أن الإحساس بأهمية التفكير النقدي يبدو متواضعاً في عالمنا العربي، ولا يُنكر الوجه الإيجابي للمقرر الخاص به في جامعة القاهرة.

رؤية مستقبلية

يمكن النظر للرؤية المستقبلية للتفكير النقدي من خلال التجربة الحالية من ثلاثة مستويات:

١. المستوى الفردي: المصابرة على القراءة المتفاعلة هذا العمل كله يمكن أن تتساوى مع دبلومة في التفكير النقدي ، الذي يمثل محور دراسات الكتاب، مضافاً إليه إلمام له قيمته بالتخصصات ذات العلاقة.

٢. المستوى الجمعي: أن تحيا أمتنا أفراداً وجماعات السلوكيات الفكرية الإيجابية التي يزخر بها الكتاب.

٣. المستوى البحثي: يعتمد معظم أبحاث الكتاب على البحث الإمبريقي أو الخبروي المستخدم في العلوم الاجتماعية، وتحتوي على نسبة كأنها معيارية من التنظير.

ويسعدنا أن أحد الأبحاث البارزة للكتاب بقلم باحثة مصرية وهى مها بالى التى كتبت بحث عن " التفكير النقدى من منظور مختلف الثقافات : التفكير النقدى فى مواجهة تحديات التنوع الثقافى، وقد جاء البحث تعبيراً عن البيئة المحلية والدول النامية بشكل عام .

كما أن محتوى الكتاب يمكن أن يكون منطلقاً للعديد من الدراسات التي تنطق بما لدينا من ثقافة نقدية إسلامية عربية، وإن عبر عنها الكتاب بشكل غير مباشر، باستخدام المناهج الحديثة. والحقيقة أن لدينا طموح يمكن تحقيقه على يد نوعية معينة من باحثين ذوي ثقافة عميقة ، وبخاصة إلمام بالثقافة الإسلامية في عصور الانفتاح الفكري، ووعي مستنير بالبيئة الاجتماعية والسياسية المعاصرة، في الاضطلاع بعمل موسع، يبحث في التلاقي بين القيم المبثوثة في الكتاب وتلك المكنونة في ثقافتنا.

اعتراف بالفضل

فقد أفادنا الكثير برأيهم ونصائحهم، مروراً بالأبناء وبعضهم الآن زملاء ممن اطلعوا على عينات من الفصول المترجمة، وبقيت رسالة خاصة أوجهها لطلابي وزملائي من أصحاب تخصص المكتبات والمعلومات والوثائق، أنه ما كان لي أن أتصدى لقضية التفكير النقدي ، لولا دراستي للتربية وعلم النفس ، وإلمامي بالعلوم السياسية، واطلاعي نسبياً ، وعشقي للموضوع، والذي أتى من صلب تخصصنا ومصادره باللغة الإنجليزية. وقبل هذا وبعده لا أملك أمام فضل ربي الكريم الذي أمد حياتي ليكتمل هذا العمل إلا الدعاء: **(... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)**

مقدمة محررى النسخة الأصلية مارتن دافيس، ورونالد بارنيت

تساؤلات، وسياق، وتحديات

ماذا يقصد بالتفكير النقدي في نطاق التعليم العالي؟ وكيف نما البحث ونمت الدراسة فيه خلال العقود الأخيرة؟ وما هو وضع الإنتاج الفكري فيه في وقتنا الحالي؟ كيف نرتفع بإمكانات التفكير النقدي؟ وما هي نوعيات التعليم اللازم إتباعها للوصول إلى تلك الإمكانات؟ وما السر في الاهتمام بهذا الموضوع الآن؟ تلك هي الأسئلة المفتاحية الدافعة للعمل الذي بين أيدينا، فنحن نتحرج من إطلاق أوصاف مثل: شامل، أو كامل، أو نهائي. ولكننا نعتقد أن الفصول التي يحتويها تقدم معاً نظرة متوازنة للمفاهيم المعاصرة للتعليم العالي على مستوى العالم، إننا نرى أن الحاجة ماسة إلى هذا الكتاب، ونحاول أن نضع أسبابنا لهذا الادعاء بين يدى القارئ من خلال هذه المقدمة.

ما الذي يقوم به هذا الكتاب

١- جمع الأبحاث الرئيسة أو مختارات من نصوص مفتاحية في المجال.

٢- إلقاء الضوء تحديداً على الأعمال التي تدور حول التفكير النقدي في سياق التعليم العالي خصوصاً.

٣- عرض (في هذه المقدمة) لنظرة طائر حول الإنتاج الفكري في الموضوع، ثم:

٤- استثارة مزيد من الاهتمام والحوار حوله.

ولقد كنا عند اختيار المسهمين، على وعي كامل بأن التفكير النقدي في التعليم شأن عالمي نتوقع أن يكون جمهوره بالملايين. ومن ثم كان حرصنا على انتقائهم من كل القارات، وكذلك من طيف من المجالات الموضوعية، وأيضا لإفساح واسع لوجهات النظر المتعددة، إذ يشتمل الكتاب على مؤلفين من خمس قارات وعشرة أقطار وأكثر من ثمانين مؤسسة جعلوا الكتاب ثمرة حقيقية تمثل منتجاً عالمياً لجهود جماعية لعشرات من الدارسين. ونحن في حاجة ماسة إلى العناية بالتفكير النقدي أو "الانتقادية" كما نفضل تسميتها في الوقت الحالي، وهناك بعض التحديات التي تواجه تبوء المكان المناسب لأهمية الانتقادية في التعليم العالي، " كالعقلية الرأسمالية " والتي تعمل ــ في العصر الرقمي ــ على مضاعفة القدرة على إنتاج حجم أكبر، إن لم يكن لانهائي من البيانات التي لا يمكن استيعابها. وما يعنينا هنا هو سرعة الاستجابة

التي تقاس بأقل من الثانية، مع حواسيب مبرمجة على جعل مثل هذه الاستجابات تستمر أربعة وعشرين ساعة يومياً. إنها " الرأسمالية اللوغاريتمية"، وعلى الجانب الآخر فإن التفكير النقدي يأخذ نغمة مختلفة من الحذر والتفكير والسكينة والتروي.

ويعتمد التفكير النقدي على مجموعة من المحفزات في اجتذاب القوى والمؤسسات الناقدة التي يمكن أن تضغط لصالحه، حيث لا يقلقلها أن تتعرض للنقد. إن القضية الأهم ، على الإطلاق هنا، بالنسبة للتفكير النقدي هي اهتمامه بتوسيع الحريات المعرفية أو المنطقية أو الشخصية أو حتى حرية المجتمع ككل. لكن الجدل يثور ـــ على الأقل ـــ حول خضوع المؤسسات التعليمية بما فيها التعليم العالي لتوفيق أوضاعها لخدمة الاقتصاد المعرفي العالمي . وهكذا فإن المساحة المتاحة للتفكير النقدي قد تختفي تماماً وبخاصة في اللحظة التي تشتد الحاجة إليها. ومع ذلك فإننا نجد المنظرين والتربويين الذين كرسوا فكرهم في المجال يختلفون اختلافاً عميقاً ، حول الجوانب الأساسية للتفكير النقدي أو الانتقادية . إنهم يختلفون في: ما الذي ينتمي إلى التفكير النقدي أو يدخل في دائرته؟ وما أغراضه وما حجمه؟ ومن ثم فإن أي حملة تعمل لصالح الانتقادية سيتم فيما يبدو شيطنتها من البداية، نتيجة الانشقاقات العميقة بين مجتمعات التربويين والأكاديميين. وأول خطوات معالجة القضية هي الجمع بين وجهات النظر المختلفة معاً، فليس هناك أقل من أن نرى كيف تتمثل أو تتجسد ـــ أي من وجهات النظر هذه ـــ في المواقف التربوية المختلفة ـــــ في التعليم والتعلم ووضع المناهج وهلم جرا... وهذا ما حاولنا فعله في الكتاب الذي بين أيدينا. إنها نقطة البداية لا أكثر. وهو ما سيتم تناوله كما يلي :

تنويه : تأتي الأبواب الثلاثة الأولى للكتاب بمثابة التمهيد والاتجاه نحو الغوص في أعماق الموضوع ، ومن ثم جاء العرض موجزا إلى حد ما ، ثم تأتي الأبواب الأربعة الأخيرة ولها تميز خاص حظى بإطالة العرض نوعا ما.

الباب الأول: ماذا يُعنى بالتفكير النقدى في التعليم العالي؟

يتناول هذا الباب فصول القسم الافتتاحي للكتاب، إذ يعتقد المحرران أن الفكر النقدي يعكس وضع التعليم العالي ؛ ومن هنا جاء القسط الأكبر من حافز إعداد هذا الكتاب، فإذا لم تبذل الجهود لدعم الانتقادية في تصميم المقررات، خاصة التدريس في مناهج التعليم وفي العلاقة بين المعلم والطالب فإننا لن نستطيع القول بأننا ننافح عن قضية التعليم العالي المثالي ؛ ومن ثم بدت الحاجة لبعض التشخيص لفكرة التفكير النقدي ذاتها ، وتعرض الفصول الأربعة لهذا القسم بعض وجهات النظر ، على النحو التالي:

- الفصل الأول : التفكير النقدي : مفهوم عصري مبسط / روبرت ه إنيس.
- الفصل الثاني : التفكير النقدي والمُحاجة في التعليم العالي / ريتشارد أندراوس.
- الفصل الثالث : منهج للإنسان النقدي : مفهوم عصري مبسط / رونالد بارنيت.
- الفصل الرابع : إرادة التساؤل : المنقبة الرئيسة للتفكير النقدي / بنيامين هامبي.

الباب الثاني : تعليم التفكير النقدي

إذا سلمنا بأن التفكير النقدي يحتل مكانة القلب أو قريبا من ذلك في التعليم العالي، فكيف ننميه لدى الطلاب ؟ والإجابة تتمثل في السبع ورقات التالية والتي تمثل محتوى هذا الباب،

- الفصل الخامس : تعليم التفكير النقدي : مخطط عملي / كيث توماس و بياتريس لوك.
- الفصل السادس : تعليم التفكير النقدي : تحقيقا للتعلم مدى الحياة / بول جرين.

- الفصل السابع : تعليم التفكير النقدي باعتباره استعلاماً / شارون بايلين و مارك باترسباي.
- الفصل الثامن : العلاقة بين المناظرات والتفكير النقدي باعتباره استعلاماً / ستيفن م لانو.
- الفصل التاسع : التفكير النقدي المكثف /ميلتون و . ويندلاند وكريس روبنصون، وبيتر أ . وليامز.
- الفصل العاشر : التفكير النقدي في سياق التخصصات العلمية / آنا جونز.
- الفصل الحادي عشر : استخدام خرطنة النقاش في تحسين مهارات التفكير النقدي / تيم ڤان جلدر.

إذ تضم هذه الأوراق نظرات ثاقبة في السبل التي يقدم فيها التفكير النقدي قيمة مضافة للعملية التربوية (التعليم والتعلم)، ومن هذه الفوائد التربوية : إحساس الطلاب بالقدرة على تكوين الأحكام السليمة ، وتنمية قدرات التأمل النقدي للذات، وما وراء الإدراك المعرفي، وضبط أو تنظيم التفكير الذاتي ، والقابلية للتعايش مع الطوارئ ، والتعددية التي ستثبت نفسها أكثر من أي من خواص التفكير النقدي بروزا في أداء التعليم العالي؛ إذ يمكن للتفكير النقدي أن يوفر للطلاب سبل التعرف على أوجه التعددية في العالم.

الباب الثالث : دمج التفكير النقدي في المناهج

إذا سلمنا بأن التفكير النقدي يجب أن يعد مقوماً له أهميته ضمن مقومات التعليم العالي، فما هى كيفية دمجه بمناهج الجامعة، وهو ما تعالجه الفصول الستة التالية:

- الفصل الثاني عشر : العلاقة بين الانضباط الذاتي والمعرفة الشخصية في تكوين المفكر النقدي : تطبيقات تربوية / إريس فاردي.
- الفصل الثالث عشر : استخدام مخطط النقاش لتدريس التفكير النقدي / مارا لي هاريل ودانيال وينزل.
- الفصل الرابع عشر : الفضائل والاستعلام معاً: عبور المرحلة الانتقالية / تراسي باول وجاستين كينجسبري.
- الفصل الخامس عشر : اختبار مقترح : استراتيجية لاستخدام التفكير النقدي في تنمية مهارة كتابة المقال / سارة هامر وفيل جريفيث.
- الفصل السادس عشر : وضعية الانتقادية في مرحلة الدكتوراه : مدخل إبداعي / إيڤا م. برودين.
- الفصل السابع عشر : فعالية تعليم التفكير النقدي / دافيد هتشكوك.

تعددت رؤى هذا الباب ، فالانتقادية في أوسع معانيها تعني تقييم الذات والرغبة في تنمية فكر الإنسان بنفسه ولنفسه، وما يتطلبه ذلك من بيئة تربوية توفر فرصة الانضباط الذاتي في المقام الأول، وتحليل النقاش يمثل جانباً رئيساً في التفكير النقدي والوزن الكبير لخرطنة النقاش، وضرورة الاستعانة بالحاسوب مع جهد تعليمي بالإضافة إلى تدريس المادة المقررة، مع تدريب من نوع خاص للمعلم القائم على تدريس التفكير النقدي وذلك للتحقق من فعالية تعليم التفكير النقدي ، ورغم هذا التنوع فهناك نصيب كبير من التوافق على أن غرس الانتقادية وتنميتها في نفوس الطلاب أمر مطلوب بإلحاح من جانب، وعملية تأخذ وقتا طويلاً ليتم تحقيقها على أرض الواقع من جانب آخر، ويمكن التأكيد أن نمو الانتقادية عملية تظل حية عند الإنسان مادام حياً.

الباب الرابع : التفكير النقدى عبر الثقافات

أصبح تغير التوجه في طابع التعليم العالي في آسيا والبلاد غير الناطقة بالإنجليزية يحظى بمزيد من الاهتمام، ويعالج هذا الباب مفهوم ووضع التفكير النقدي في بلدان العالم النامي كبلدان الشرق الأقصى والأوسط: والصعوبات التي تواجهنا هنا جزء منها تربوي (تعليمي) والآخر سياسي، فقد رفضت حكومة الصين في الماضي تبني النمط الثقافي الغربي، وعدم الرغبة في تشجيع ثقافة الحوار وتبادل الأفكار بطلاقة، والعادات المتوارثة لا تتلاشي إلا بصعوبة، مع رصد سلبية الطلاب الأسيويين تجاه التفكير النقدي ، كما أن التفكير النقدي في مصر والشعوب الإسلامية ليس غائبا عن الفكر الإسلامي، ولا هو قاصر على العالم الغربي فقط، إلا أن أهم العقبات التي تحول دون تعليم التفكير النقدي في العالم الإسلامي تتمثل في ، التفاوت في رأس المال الثقافي، وعدم حيادية العملية التعليمية والتقيد في أحوال كثيرة بقوالب تعليمية مقبولة ثقافياً، وافتقاد إتقان اللغة، والقلقلة والصراعات والمخاطر التي تحيط بالبيئة السياسية والاجتماعية التي تحيا فيها كثير من بلدان الشرق الأوسط. كما تبنى البعض مدخلا مهجناً ذا اتجاهين يعترف بقيم وثقافات السكان الأصليين وعقائدهم مع أسلوب الانتقادية الغربي على قدم المساواة، على أن تلك هي المهارات الأساسية لمن يريد حياة نافعة في القرن الحادي والعشرين. ويلفت البعض الانتباه إلى التناقض الذي ينتاب العملية التعليمية الصينية، إذ رغم إدخال الصين التفكير النقدي في مناهجها والاستثمار الضخم في التعليم والنمو والرخاء الاقتصادي ، فهناك تباطؤ في إذاعة التفكير النقدي وتعليم ارتجاليً، وانفصام العلاقة بين المحتوى التعليمي والممارسة على أرض الواقع. وملاحظة البعض أن منظور المفهوم الاستعماري(الكولونيانية)يهيمن على كثير من مؤسسات التعليم العالي في الغرب بالنسبة لمتعددي الجنسيات، وسيادة مفهوم أن ذوي الثقافات غير الغربية محرومون من الانتقادية ، وهو ما تعالجه الفصول الأربعة التالية:

- الفصل الثامن عشر : التفكير النقدي ومهارات التفكير في عيون الطلاب الجامعيين من ثقافات مختلفة إيمانويل مانلو ، تكاشي كوسومو ، ياسوشي ميشيتا ، ويوكو تناكا.
- الفصل التاسع عشر : التفكير النقدي من منظور مختلف الثقافات / مها بالي .
- الفصل العشرون: التنوع الثقافي: التفكير النقدي وثقافة المواطنين الأصليين / شارون ك تشرجوين وهنك هويجزر.
- الفصل الحادي والعشرون : تعليم التفكير النقدي والخصوصيات الصينية / يود ونج.

الباب الخامس : التفكير النقدى وعلاقته بعلوم الإدراك المعرفى

تعد الجهود التي أنجزتها علوم الإدراك المعرفي ذات أهمية بالنسبة لوضع التفكير النقدي في التعليم العالي؛ إذ أن للتفكير النقدي مهارة إدراكية في جانب منه ـــ على الأقل ـــ تتضمن ما يدور حول المخ وسلوكياته، والسؤال الذي يُطرح هو : كيف يتم تطبيق بحوث الإدراك المعرفي على جهود القائمين على التربية والتعليم؟

يُرى التفكير النقدي من منظور علم الإدراك على أنه مهارة تفكير عليا كتعلم اللغة أو عزف البيانو ، ويكرس علماء الإدراك المعرفي جهودهم علي ما يعرف بفرضية الممارسة أو السلوك العمدي ، وتشير الشواهد التي توصلت إليها بعض الدراسات إلي أن الممارسة المركزة المتصاعدة المبنية علي المران ، والمستفيدة بانتظام من التلقيم المرتد (الذي يعكسه انطباع المستقبلين) تحقق أعظم المكاسب لمهارات التفكير العليا ، كما أن هناك جهداً بحثياً ملحوظاً حول مهارة نقل المعرفة (عدوى المعرفة) وهو ما ينطبق بدوره علي التفكير النقدي ، ومن ثم يثور التساؤل عن حجم التلاقح بين عناصر المعرفة التي تنبثق عبر

التفكير النقدي ، وهو سؤال تطبيقي (إمبريقي) لـه تطبيقاتـه بوضـوح فـي التعليم العـالي ، وعلينـا أن نـتعلم كيف ننتشر ، وأن تعليم التفكير النقدي في مجال معرفي معين سوف تنتقل عدواه تلقائيا إلي مجال آخر.

وفي الحقيقة أن العلاقة بين التفكير النقدي و علم الإدراك تحتاج إلي معالجة فـي كتـاب مستقبل إلا أننـا نقتصر علي التنويه إلي أهميته في هذا الكتاب الحالي.

ويقدم لاو معالجة وصفية لأهميـة (مـا وراء الإدراك) ، ويـري أن تحقيق مستوى أفضـل مـن التفكير النقدي يتطلب ممارسة ما وراء الإدراك المعرفي مما يوجه الانتباه إلي علم نفس التعلم والاستدلال المنطقي والحل الإبداعي للمشكلات (خارج الصندوق) ، وأن الطلاب لن يستطيعوا مواجهة تحديات العالم المعاصر المضطرب دائم التقلب إلا من خلال ما وراء الإدراك المعرفي وحده. ويحدد لاو عددا من أوجـه مـا وراء التفكير والتي يمكن استخدامها كأساس للتعليم الماورائدراكي مثل : ما وراء المفـاهيم أو البنيـة الفكريـة : أمـا الوجه الآخر لما وراء الإدراك فهو المعرفة الشائقة عن الإدراك المعرفي . كمـا أن هنـاك مـا وراء المعرفـة الذاتية (وعي المرء بمهاراتـه واستعداداته) والانضـباط الذاتي وإحدى النقـاط الشيقة هـي حاجـة الجامعـات لإعادة بناء ثقافة تعليم ترفع من شأن تنمية التفكير النقدي بإعلاء أهميـة مـا وراء الإدراك بوضـوح، بـالتزود بالمهـارات الناعمـة وتضـمين الإبـداع وحـل المشـكلات ضـمن المنـاهج الدراسية ، ويسـلط البـعض الأضـواء علي قضايا التزييف والتحيز والإيحاء المسئولة عن حدوث الأخطـاء فـي نظرتنـا لأنفسنا وللعـالم من حولنـا، ويقدم البعض نموذجـا لمـا وراء الإدراك يندمج فيـه التفكير النقدي ، فيعـرف مـا وراء الإدراك بأنـه القـدرة علي التوصل إلي تمثيلات للعالم ، ويعرف التفكير النقدي بأنه (القدرة علـي التقييم الماورائـدراكي ومن ثـم يقدم نموذجـا يضـم المعتقدات والأهداف والرغبـات كجـزء مـن توصـيف متكامل لعمليـات التفكير الإنسـاني العلمي.

إلا أن أياً من الطروحات السابقة لـم يلمس كيف نعلم طلابنـا التفكير النقدي ولا التحيـزات المعرفيـة ، ولا عمـي الرؤيـة أو كيفيـة التعـرف عليهـا أو تصـحيحها ، فنحن نتصـرف بصـفة عامـة إزاء غـرس التفكير النقدي بناء علي الظن بأن الطلاب سيكتسبونه بطريقة ما بما لا يتناسب مع أهمية التفكير النقدي فـي التعليم العـالي والـذي عليـه تهيئـة الطـلاب أن يتكيفـوا مـع مستقبل لا يعرفـون عنـه شـيئا. وهـو مـا تتنـاولـه الفصـول الثلاثة التالية:

- الفصل الثاني والعشرون : تربية المدركات العليا : ما بعد التفكير النقدي / چو واي ف لو.
- الفصـل الثالـث والعشـرون : تطبيـق علـم الإدراك المعرفـي علـى لـدى طـلاب التعليـم العـالي / جاسون م لودج ، وإرين أوكونور ، وروندا شو ، ولوريل بيرتون.
- الفصـل الرابـع والعشـرون : مـا وراء الإدراك المعرفـي و التفكيـر النقـدي دعـائم تربويـة / بيتـر إليرتون.

الباب السادس : التفكير النقدى في الممارسة المهنية

لقد تزايدت أهمية التفكير النقدي وضوحاً خارج الوسط الأكاديمي في دنيا العمال والمهن ، وهـو مـا تتنـاولـه فصـول هذا البـاب الخمسـة من خـلال مهن : المحاسـبة، والطـب، والعلـوم، والموسـيقى ، والصـحة السكانية، والكتابة الإبداعية ، وتهيئة الممارسة المستقبلية في تشكيله من المجالات المهنية كما يلي:

- الفصل الخامس والعشرون : التفكير النقدي في ممارسة مهنـة المحاسـبة : مفـاهيم أربـاب العمـل والعاملين / سامنثا سن ، آلان چونز ، زيان وانج.

- الفصل السادس والعشرون : التفكير النقدي لحياة المستقبل الوظيفية: اسأل حتى تتعلم / فرانزيسكا تريد وسيليانا ماكوين.
- الفصل السابع والعشرون : الانتقادية في طب العظام: استكشاف العلاقة بين التفكير النقدي والعلاج الإكلينيكي / ساندرا جريس وبول چ . أوروك.
- الفصل الثامن والعشرون : إظهار التفكير النقدي مرئيا في التجارب البحثية لطلاب المرحلة الجامعية الأولى / آنا ويلسون ، سوزان هويت ، دينيس هيجنز ، باميلا روبرتس.
- الفصل التاسع والعشرون : استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في تعزيز التفكير النقدي : اجتياز الفجوات الاجتماعية والتعليمية / نانسي نوفمبر.

فلقد أظهرت المسوح التي أجريت على قطاع الأعمال في الولايات المتحدة أن "التفكير النقدي" يحظى كمهارة بأهمية رئيسة فيما يتطلبه أرباب الأعمال في المرشحين لوظائف لديهم، كما جاء على رأس تزكياتهم ، متفوقاً على "التجديد" وعلى "تطبيق تقنية المعلومات". ولقد قدم البعض خمسة مفاهيم للتفكير النقدي من منظور مهنة المحاسبة تتضمن : تحديد ودعم العوائد التي يحققها العميل(الزبون)، وحسم مصير التطبيقات غير الواضحة للبيانات، والتواؤم مع تعقيدات العلاقة الاجتماعية والتنظيمية والمؤسسية، وتقييم محفزات لذوي الاهتمام، وتحديد التناسب بين المبادئ والمفاهيم المثالية ودمجها في الاستعداد للممارسة الأخلاقية، فهم يرون وفق مفهوم المحاسبة التفكير النقدي نوع من أنواع الفعل الهادف، رغم ما ينطوي عليه من إشكاليات فكرية. كما عالج البعض الموضوع من مدخل مختلف يتضمن نوعاً من الانتقادية بدلاً من عرض قيمة التفكير النقدي لمختلف المهن، إذ يرون أن التطبيق الحالي للتعلم أثناء الخدمة ، وتوجهات المشرفين في مواقع العمل يغذي ثقافة الإذعان والاستعداد لتقبل لوائح تقييم الكفاءة، وهو مالا يشجع على تفكير نقدي حقيقي، كما أن الطلاب لديهم رغبة في الالتحاق بالوظيفة وليس انتقادها. كما أن التفكير النقدي عنصر واضح ضمن العلاج الطبي، وأن روح التفكير النقدي تتخلل الإجراءات الطبية الكبيرة وتدخل أخلاقيات ومهارات المهنة : كاستخراج الأدلة ، وجمع وتحليل المعلومات، وطرح إجابات على الأسئلة ، والوصول إلى النتائج ، جنباً إلى جنب، مع المتطلبات ذات الأهمية بالنسبة لرعاية المريض. كما أن خطايا التفكير النقدي في سياق البحث العلمي تخفى عن العيون، وأوضح البعض أن استخدام المدونات يبرز التفكير النقدي المساند للعلم، وتمدنا البيانات، المستقاة من مدخلات المدونات، بدليل على الكيفية التي ينضج بها الطلاب نقدياً ، من خلال استخدامهم لهذه الأداة، وهو يكشف عن ارتباط قوي بين تفكيرهم النقدي ، وبين ثقتهم في أنفسهم كباحثين علميين، وما يصاحب ذلك من إحساسهم بتنامي خبراتهم العلمية. وتناول البعض أدوات الفضاء الإليكتروني واستخدام وسائط التواصل الاجتماعي في مجالات مهنية مختلفة ، كالموسيقى والصحة السكانية والكتابة الإبداعية كسبل يرى الناس من خلالها التفكير النقدي رأى العيان، حيث التجوال بين الأفكار، واستيعاب وجهات نظر كثر ، وإمكان إصدار الأحكام بناء على الأدلة ، وتغذية التأمل وإعمال الفكر.

الباب السابع : الآفاق الاجتماعية للتفكير النقدى

كان النظر فيما مضى إلى التفكير النقدي يرتكز على استحضاره للمحتوى المنطقي وقوة الحجج والافتراضات ، ثم لوحظ بعد ذلك أن غالب ما يحدث على أرض الواقع هو ان التفكير يوجه إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية أو النظم الاجتماعية ، فيما يفتح واسعاً الفضاء الذي يتم فيه إعمال التفكير النقدي . كما أن الفكر لا ينشأ في الفراغ وهو ما يعرف بالمكنون الاجتماعي للفكر. وأن التعليم العالي لديه فرصة سانحة لتبني الجانب النقدي للمجتمع، ليتمكن الطلاب من كسب قدر من الحرية من انغلاق النظر، وكانت تلك لحظة فاصلة في التفكير النقدي باعتباره أداة تربوية ، فقد بدأت النقلة من الاهتمام بالنصوص إلى

النظر إلى الظروف الاجتماعية التي ولدت فيها تلك النصوص، ليصبح ذلك الفكر الذي يميط اللثام عن الارتباطات بين بُنى قوى المذاهب المنهجية عبر المجتمع ، والباب حاشد بباقة من وجهات النظر الخاصة بالتفكير النقدي: فهو يهيئ طريقة للمساعدة في دعم المواطنة لدى الطلاب عبر المنظور الثقافي الاجتماعي، وهنا يكون التوجه المحوري منصباً على الممارسات الاجتماعية المبنية على تشكيل مجموعات طلاب التعلم ، ولا يغني مشاركة الطلاب في التآلف في المقام الأول، وإنما يعطي الأولوية للنشاط في حد ذاته، على أن يؤدي هذا المنهج إلى دعم التفكير النقدي ، وبما يمكن الطلاب من تطبيق ما اكتسبوه من معارف ومهارات. كما أن دعم المواطنة النقدية المبنية على غرس مجموعة قيم إنسانية عامة لا خلاف عليها، مثل: التسامح والتنوع وحقوق الإنسان والديمقراطية والتطلع إلى مستقبل يمكن تحقيقه مؤسس على العدالة الاجتماعية، ولقد أتى هذا التوجه فيما بعد مرحلة النظام العنصري في جنوب أفريقيا. ثم جاء مصطلح " التربية النقدية " لتمييز أشكال التعليم والتعلم الموجه نحو الاهتمام بالسلوك الاجتماعي والنقدي؛ فمنظور التربية النقدية ينطوي في القلب منه على أن إبداع المعرفة، وشخصيات طلاب التعلم في ذاتيهما إصلاح اجتماعي وأيديولوجي، مما يعني بالتبعية أنه لا مكان للإملاء ، وإنما تكون هناك بلورة لقضية تتطلب وعياً نقدياً من خلال عملية يشترك فيها المعلم والطالب، يعلم كل واحد منهما الآخر على حد سواء، ثم التعمق الخاص للتربية النقدية ، واستجواب الذات، واستعداد المعلم لقبول النقد الصريح أمام طلابه، ومن ثم يقدم نموذجاً يحتذى به. وهناك مفهوم آخر تبناه فريق مخالف، مبني على " الوزن الدلالي " الذي يشير إلى المدى الذي تصل إليه القيم المضافة في متواليةٍ ما، في تطابقها في سياق معين (وبهذا تحقق وزناً دلالياً عالياً)، أم أنها منفصلة تماما عنه، وفي الحقيقة تكون ذات طابع نظري بحت (ومن ثم تصل إلى مستوى أضعف في الوزن الدلالي)، ومن الممكن القيام بجهد بناء لتطبيق هذه المعالجات في المقررات ، التي تعد أمثلة واضحة في نطاق التربية النقدية، ولكى تكون تلك التربية فعالة ، فإن من المفضل أن تكون قابلة لاستيعاب أي من الخصائص النمطية لأوزان المعاني. هو ما تعالجه الفصول الخمسة التالية:

- الفصل الثلاثون : قول كلمة الحق لأصحاب السلطة : التفكير النقدي في ضوء مبادئ النظرية النقدية/ ستيفن بروكفيلد.
- الفصل الحادي والثلاثون: هل تجاوزت العقبة الأولى؟ : استكشاف مفهوم المواطنة النقدية / الماري كوستانداياس ، مارجريت بلاكي ، براندا ليبوفيتز ، لان نيل ، رودا ملجاس ، صوفيا أوليفيا روزوكاكي ، جيرت يونج.
- الفصل الثاني والثلاثون: التربية النقدية : التفكير النقدي سلوكا اجتماعيا/ ستيفن كاودين وجورنام سينج.
- الفصل الثالث والثلاثون: السلوكيات المعرفية للتفكير النقدي/ إستر سزينس ، نامالا تلكاراتنا ن وكارل ماتون.
- الفصل الرابع والثلاثون: التفكير النقدي وتحقيق المواطنة الواعية / مونيك ڤولمان وچيرت تيندام.

وفي الختام :

التواصل بين التلميذ وأستاذه سلوك طيب ، وهذه الكلمة الختامية للعرض هى في الحقيقة من صياغة أستاذي الدكتور حسني الشيمي، عندما تواصلت معه وعرضت عليه هذا العرض المتواضع، وقرأه بتمعن، وأبدى ملاحظاته على بعض الهنات كما وصفها ، ثم أهداني وإياكم هذه الخاتمة، بارك الله فيه، وأنعم عليه بدوام الصحة والعافية، اللهم آمين.

الحقيقة أن الكتاب يثير ـــــ في معظم مباحثه ـــــ تأملات تستوقف النظر، إن لم نقل تستفز التفكير، وتقديراً للمساحة المتاحة في هذا العرض ، فسيتم الاكتفاء بالسطور التالية، وهى مقتبسة من الفصل الثاني والعشرين بعنوان " تربية المدركات العليا...":

إن على التفكير النقدي أن يسهم في تكوين شخصية ذات قدرة ثاقبة تنظر فيما تعتقد وفيما تفعل ، وكيف تعلو في ذلك وتبدع ، حتى يكون لها مكان في الاقتصاد الحديث ، خذ مثالاً على ذلك: "الفيس بوك" ، بدأ بفكرة، راودت طالباً بالمرحلة الجامعية الأولى، فإذا به يسجل بليون مستخدم فعلي كل شهر قرابة عشر سنوات (ولعل الرقم زاد بعد ذلك) ولو تصورنا أن "الفيس بوك" واحد من بلدان العالم، فإنه سيكون ثالث أكبر هذه البلدان بعد الصين والهند. إنها ظاهرة نجاح مدوية توجه رسالة إلى المؤسسات والشركات والمجتمعات، ألا تقلل من قيمة الفكرة البازغة.

إن التفكير النقدي والإبداع يعملان معاً لحل المشكلات المعقدة، فالتفكير النقدي بدون الإبداع يبدو عاجزاً، والإبداع لا غنى له عن التفكير النقدي الذي يختبر الأفكار ويمحصها.

والشخصية التي تمتلك هذه " العملة المزدوجة " لا تأتي بضربة حظ ، كما يقال وإنما تتبنى على مساحة واسعة من المعرفة ، وخبرات تتنامى مع الزمن ومعهما نفس تواقة، وانضباط ذاتي يتنفس الموضوعية وتجيد العمل الجمعي أي ضمن الفريق.